

الفلسفة الإسلامية وأثرها في تفسير القرآن الكريم

Islamic Philosophy and Its Influence on the
Interpretation of the Glorious Qur'an

أ.م. درياض عبد الرحيم

Asst.Prof.Dr. Dr. Riad Abdel Rahim

العراق / جامعة البصرة كلية التربية / القرنة

University of Basra College of Education / Qurna

م.م. ناهد الشماسي

Asst. Lect. Nahed Al Shamassi

المملكة العربية السعودية / جامعة الدمام / كلية العلوم الإسلامية

Saudi Arabia / University of Dammam / College of Science

Riadabdr32@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي

Turnitin - passed research



مُلخَصُ البَحْثِ:

كان ظهور الإسلام بكتابه الحكيم هو ظهور الحقيقة العظمى، فقد جاء القرآن بما يتعلّق بالألوهية بالمفهوم الكامل الواضح للإله، وبيّن الإيوان على نظر العقل وثمره المعرفة، وأمر بالنظر العقلي البصير.

والفلسفة الإسلاميّة هو علم يقدّم تصوّر الإسلام ورؤيته حول الكون والخلق والحياة والخالق، وأهمية البحث تكمن في أهمية موضوعه وهو القرآن الكريم، وأهمية تفسيره وتدبر آياته، وتعدّ الفلسفة الإسلاميّة من أهم المصادر العقلية التي تعين على فهم القرآن الكريم.

والفلسفة الإسلاميّة انبثقت من صميم البيئة الإسلاميّة، وأسهم المسلمون فيها، ونما هذا العلم في بيئة المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة، وامتازت الفلسفة بموضوعاتها ومسائلها حول الواحد والمتعدد، وعالجت الصلة بين الله سبحانه و مخلوقاته، وكذلك وفقت بين الروح والعقل.

والتفسير الفلسفيّ للقرآن الكريم يعني استعمال المباني والقواعد الفلسفيّة في فهم النصّ القرآنيّ.

لقد ساعد هذا النوع من التفسير على فهم الآيات المتشابهة. والوصول إلى بواطن النصّ القرآنيّ وتأويل آياته المباركة.

ومن النماذج للتفسير الفلسفيّ للقرآن الكريم: تفسير الفارابي للأول والآخِر، والظاهر والباطن، وتفسير ابن سينا للعرش بأنه الفلك التاسع، والملائكة الثمانية الذين يحملون العرش هم الأفلاك الثمانية.



أمّا السيد الطباطبائي فقد رفض تفسير الكلام الإلهي بالموجودات الخارجية كما ذهب إليه بعض الفلاسفة، وأخذته بالمعنى الحقيقي للكلام .
ولذلك على المفسّر أن يراعي الضوابط العامة للتفسير، ومن أهمها عدم تحميل النظريات الفلسفيّة على القرآن الكريم.
الكلمات المفتاحية : الفلسفة الإسلاميّة، أثرها، تفسير القرآن الكريم.



Abstract :

Islam and the Glorious book represents the emergence of the greatest truth because the Qur'an brought what relates to divinity with the full and clear concept of God, and it explained faith by relying on the insight of reason and the fruit of knowledge and it commanded following the mental insight consideration.

Islamic philosophy is a science that presents the conception and vision of Islam about the universe, creation, life, and the Creator. The Importance of the research lies in the importance of its subject; namely: the Glorious Qur'an, and the importance of its interpretation and pondering in its verses. The Islamic philosophy is regarded as one of the most important rational resources which can help to understand the Glorious Qur'an.

It emerged from the core of the Islamic environment, and Muslims contributed to it, and this science grew in the environment of theologians, philosophers, and mystics. This philosophy is characterized by its subjects and issues that relate to the One and the Multi, and it tackled the relation between Allah, the Almighty, and His creatures. It also made accordance between the soul and the intellect.

The philosophical interpretation of the Holy Qur'an means the use of philosophical premises and rules in understanding the Qur'anic text. This type of interpretation has helped to understand the allegorical verses and access to the deep meanings of the Quranic text and interpretation of its blessed verses.

As examples of the philosophical interpretation of the Glorious Qur'an are: Al-Farabi's interpretation of the divine names of Allah, the Almighty: Al-Awwal (the First) and Al-Akhir (the Last), Al-Dhahir (the Manifest) and Al-Batin (the Immanent), and Ibn Sina's interpretation of the Throne as the ninth orbit, and the eight angels who carry the Throne are the eight spheres.

Keywords: Islamic philosophy, its influence, interpretation of the Glorious Qur'an.



مقدمة

كان ظهور الإسلام بكتابه الحكيم هو ظهور الحقيقة العظمى، كما كان مدخل التحول في الدين المنزل، و التفكير الديني أو العلمي و الفلسفيّ معاً .

فقد جاء القرآن بما يتعلّق بالألوهية بالمفهوم الكامل الواضح للإله، و جاء يبيّن الإيذان على نظر العقل و ثمرة المعرفة، كما جاء ليعظّم أمر العلم و الحكمة، فأمر بالنظر العقلي البصير، في آيات الكون الظاهرة داعياً للتأمل في أسرارها الخفية، عن طريق الحس و الوجدان و العقل معاً، فالقرآن الكريم حين يتكلم عن الله سبحانه و تعالى في ذاته و صفاته و أفعاله و تدبيره لهذا العالم، فإنّه يبيّن لنا المنهج إلى معرفة ذلك، هو النظر العقلي المتكامل الصحيح في هذا العالم ب كلّ إبداعاته الكونية و الطبيعية. (١)

و الفلسفة الإسلاميّة مصطلح عام يمكن تعريفه و استعماله بطرق مختلفة، فيمكن للمصطلح أن يُستعمل على أنّه الفلسفة المستمدة من نصوص الإسلام، بحيث يقدّم تصوّر الإسلام و رؤيته حول الكون و الخلق و الحياة و الخالق، و يمكن أن يُستخدم ليشمل جميع الأعمال و التصورات الفلسفيّة التي تمت و بُحثت في إطار الثقافة الإسلاميّة، من دون أن يكون مرتبطاً بحقائق دينية و نصوص شرعية (٢).

و في هذا البحث نتعرض لأثر التفسير الفلسفيّ للقرآن الكريم في مبحثين رئيسيين هما:

- التعريف بالفلسفة الإسلاميّة .
 - التعرض لأثر التفسير الفلسفيّ في تفسير القرآن الكريم .
- الأهداف: ١- التعرف على الفلسفة الإسلاميّة .
- ٢- التعرف على أثر الفلسفة الإسلاميّة في تفسير القرآن الكريم.



أهمية البحث: أهمية البحث يعود إلى أهمية موضوعه و هو القرآن الكريم، و إلى أهم علم من علوم القرآن الكريم، ألا وهو علم التفسير، و التدبر بآياته، و الاستفادة منه .

فكلما تقدّم بنا الزمان و تطوّرت العلوم كلما ازددنا فهماً للقرآن الكريم، و تُعدّ الفلسفة الإسلاميّة من أهم المصادر العقلية التي تعين المفسّر في تفسيره، و التي أسهمت و ما زالت تُسهم في فهم القرآن الكريم، و الوصول إلى عمقٍ من أعماقه و بطنٍ من بطون هذا القرآن العظيم.

دراسات سابقة:

تناول عدد من الكتاب التفسير الفلسفي للقرآن الكريم على صورة نقد لهذا المنهج، مثل :

- ١- التفسير و المفسّرون للدكتور محمد حسين الذهبي .
 - ٢- أصول التفسير و قواعده للشيخ خالد العك .
- و لكن أيضًا نجد دراساتٍ مكثفةً حول هذا العلم، منها:
- ١- سلسلة التفسير الفلسفي للقرآن الكريم / لأبي يعرب المرزوقي في موقع مركز تفسير للدراس .
 - ٢- مفسري القرآن و أسلوبهم / ساجد شريف عطية، موسوعة اتقان القرآن و علوم الرحمن .
 - ٣- المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم (صدر الدين الشيرازي أنموذجاً) لزمن حسين صالح، رسالة ماجستير.
- أمّا هذا البحث فيتناول تعريف الفلسفة الإسلاميّة كمصدر علمي من مصادر التفسير، و نظرياته القطعية كمبادئ و أصول يعتمدها المفسّر في تفسيره .



من هنا نجد أنّ هناك أسئلةً تطرح في الواقع الفلسفيّ للتفسير القرآنيّ منها .
ما المراد من الفلسفة الإسلاميّة؟ وما أثرها في تفسير القرآن الكريم؟

المبحث الأول : الفلسفة الإسلاميّة

المطلب الأول : تعريف كلمة (الفلسفة) لغة واصطلاحًا:

أ- تعريف كلمة الفلسفة لغة :

أصل كلمة (فلسفة) هو اسم يوناني، ومعناه الحكمة. ^(٣) ولذا يعبر عن الفيلسوف بأنّه محب الحكمة.

ب- تعريف كلمة الفلسفة اصطلاحًا :

يقول صدر المتأهّلين : الفلسفة هي استكمال النفس بمعرفة حقائق الموجودات على ما هي عليها و الحكم بوجودها تحقيقًا للبراهين لا أخذًا بالظن و التقليد بقدر الوسع الإنساني.

ويقول فتح الله : الفلسفة هي العلم بالموجودات بما هي موجودات، و هي من أول العلوم التي تعبر عن الموجودات معقولة براهين يقينية ليسهل بذلك تعليم جمهور الأمم و أهل المدن، فالطرق الاقناعية و التخيلات إنّما تستعمل في تعليم العامة و جمهور الأمم و المدن.

إذن فالفلسفة تبحث في الموجودات بما هي موجودة و ثابتة من حيث هي في نفس الأمر و الواقع .

و تنقسم الفلسفة إلى فلسفة عامة و فلسفة إلهية، فالعامة كالبحث عن العلة و المعلول، و الإلهية مثل البحث عن وجود الله سبحانه و صفاته ^(٤).



المطلب الثاني : الفرق بين الفلسفة و علم الكلام :

تفترق الفلسفة عن علم الكلام، أنّ الكلام وضعه المسلمون للدفاع عن الدين، بينما الفلسفة ليس فيها طابع ديني،^(٥).

فعلم الكلام علم مستقل لا علاقة له بالفلسفة، فالفلسفة هي البحث عن الوجود وأقسامه، و البحث عن الأشياء الموجودة بما هي، أمّا علم الكلام فلا يشبه الفلسفة، لأنّه إنّما نشأ لرد مادية الفلسفة المهاجمة، خوفاً من أن يؤثر على العقيدة الإسلامية أو ما يروونه عقيدة إسلامية^(٦).

المطلب الثالث : موقف المسلمين من الفلسفة:

لما كانت طبيعة الفلسفة النظر إلى حقائق الأشياء غير مقيدة برأي أو عقيدة، و اصطدمت هذه الفلسفة ببعض مواقف الدين الإسلاميّ، تصدّى المسلمون للدفاع عن عقائدهم بأسلوب البراهين الفلسفيّة، و حاولوا التنسيق بين الآراء الرائدة في الفلسفة و بين نظريات الإسلام، فنشأ من ذلك علم الكلام، فعلم الكلام إنّما نشأ للدفاع عن العقيدة الإسلامية عندما هاجمتها الفلسفة اليونانية، و استخدموا الأساليب البرهانية التي تستخدمها الفلسفة لخدمة الدين.^(٧)

المطلب الرابع : أصالة الفلسفة الإسلامية :

يرى بعض الإسلاميين أنّ الفلسفة الإسلامية قد نبعت من صميم البيئة الإسلامية، ذلك أنّه نشأ من طول معاناة علوم القرآن و الحديث علم إسلامي أصيل هو (علم الأصول)، و الذي ظهرت في رحابه المذاهب الكلامية، و جاءت الفلسفة اليونانية لكي تجد أرضاً خصبةً و عقليةً فلسفيةً اكتملت لديها جميع أسباب النظر الفلسفيّ، من خلال النظر في مسائل الفقه و أفضيته و قياساته، و لم يكن تيار الفلسفة اليونانية سوى رافد اندفع ليلتقي مع المجرى الكبير بدافعه من حتمية التأثير



الثقافي المتبادل كنتيجة للتجاور المكاني و التماس حضاري في هذه المنطقة القديمة .
و أقبل المسلمون على التراث اليونانيّ مستعرضين قضاياها بأسلوب منهج المقارنة
لا بأسلوب التعلّم، فرفضوا ما يتعارض منه مع الدين وموقفهم الفلسفيّ منه، و
قبلوا ما لا يناقض العقيدة من مذاهب و آراء^(٨).

المطلب الخامس : نشأة الفلسفة الإسلامية:

ليس ثمة شك أنّ هناك فكراً فلسفياً نشأ وترعرع في الأصول الإسلاميّة بصورة
عامة، إذ إن أصول الدين تنطلق من المباني الفكرية والعقلية التي ينشدها الفكر
الفلسفيّ الإسلاميّ، لذا نرى أنّ للفكر الفلسفيّ الإسلاميّ مدارسه ورجاله، و له
مشاكله ونظرياته، و له خصائصه ومميزاته، و هو ما نسميه بـ (الفلسفة الإسلاميّة)،
أنّه نشأ و شبّ في كنف الإسلام، و تأثر بتعاليمه، و أسهم فيه المسلمون في المشرق
و المغرب، و لا ضير أن يكون قد أسهم فيه غير المسلمين أيضاً ممّن شملهم الإسلام
برعايته .

و هناك ثلاث بيئات عُنيّت بالفلسفة و الفكر الفلسفيّ، هي :

أ. البيئة الكلامية : و هي من أغنى البيئات و أغزرها مادةً، و أشدها اتصالاً
بالأحداث السياسية و الاجتماعيّة في العالم الإسلاميّ.

ب . بيئة الفلاسفة : وهم المشاؤون العرب، و التي توسّعت في التوفيق بين
الفلسفة و الدين .

ج . بيئة المتصوفة : حيث عاشت الفلسفة في كنف المتصوفة حين أعرضت
الجماهير عنها، كما عاشت الفلسفة في كنف علم الكلام^(٩).

و لقد مهّد للفلسفة الإسلاميّة بيئتان متعاصرتان وضعتا دعائم الدراسات
العقلية في الإسلام، أولهما بيئة المترجمين الذين غدّوا العالم الإسلاميّ بثمار الفكر



القديم شرقياً كان أم غربياً، و ثانيهما بيئة الفرق الكلامية، ولا سيما جماعة المعتزلة، حيث بدأت الفرق الكلامية منذ أخريات القرن الأول للهجرة تثير بعض المشاكل الفلسفية كمشكلة الجبر والاختيار، و تفرّعت منها في القرن الثاني مشاكل أخرى، و خاصة على أيدي المعتزلة الذين فلسفوا العقيدة الإسلامية، و عرضوا بسببها لمشكلة العالم والإنسان، ففرّقوا بين الوجود و العدم، و بين الجوهر و العرض، و بين الذات و الصفة، و بين الجسم و النفس، و بين الخير و الشر، و بحثوا في السبب و العلة، و قالوا بالمعاني و الأحوال، لكي يفسّروا صفات الباري تفسيراً عقلياً، و توسّعوا في شرح العدالة الإلهية، و كذلك تعرضوا إلى مسائل الإلوهية، و أهمها البرهنة على وجود الله سبحانه، فعولّوا على الدليل الكوني الذي يحاول أن يثبت وجود الله جل جلاله عن طريق وجود الكون، و الدليل الغائي الذي يستخلص من نظام الكون و إبداعه، أنّ له هدفاً و غايةً لا تصدر إلا عن مدبر حكيم، و يعتمد هذان الدليلان على مبدأ العلية سواء أكانت علة فاعلية أم علة غائية^(١٠)

المطلب السادس : أهمية الفلسفة الإسلامية:

امتازت الفلسفة الإسلامية بموضوعاتها و بحوثها و مسائلها و معضلاتها، و بما قدّمت لهذه و تلك من حلول، فهي تعنى بمشكلة الواحد و المتعدّد، و تعالج الصلة بين الله تعالى و مخلوقاته، التي كانت مثار جدل بين المتكلمين، و تحاول أن توفق بين الوحي و العقل، و بين العقيدة و الحكمة، و بين الدين و الفلسفة، و أن تبيّن للناس أنّ الوحي لا يناقض العقل، و أنّ العقيدة إذا استنارت بضوء الحكمة تمكّنت من النفس و ثبتت أمام الخصوم، و أنّ الدين إذا تأخى مع الفلسفة أصبح فلسفياً كما تصبح الفلسفة دينيةً، و على أنّها مع هذا الطابع الديني لم تهمل المشكلات الفلسفية الكبرى، فعرضت لنظرية الوجود عرضاً واسعاً، و أدلت برأيها في الزمان و المكان و



المادة والحياة، وبحثت نظرية المعرفة بحثاً مستفيضاً، ففرقت بين النفس والعقل، و
الفطري والمكتسب، والصواب والخطأ، والظني واليقين، وغيرها^(١١).

المطلب السابع: موقف القرآن الكريم من الفلسفة:

تطرّق القرآن الكريم لفلسفة الكون والتكوين، بل ودعا إلى النظر والتأمل في
مظاهر الطبيعة المختلفة من حيث إنّها تشير إلى عظمة الخالق وقدرته التي لا حدّ
لها، و سلك في هذا السبيل مسلكاً يثير العقل ويحفّز انتباهه إلى الترقّي في مدارج
المعرفة الكونية، كما في قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)
الأعراف: ١٨٥، و في قوله تعالى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ) الطارق: ٥. وقال
تعالى { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ
إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ العنكبوت ٢٠

أمّا فيما يخصّ قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّ)
الإسراء: ٨٥، و قد تشير هذه الآيات إلى الناحية العملية، كما في قوله تعالى:
(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّجِ) البقرة: ١٨٩، فهذه الآيات
تدعو إلى التأمل والنظر.



المبحث الثاني : أثر الفلسفة الإسلامية في تفسير القرآن الكريم :

المطلب الأول : تعريف كلمة (أثر)، (التفسير)، (التفسير الفلسفي) :

أ. تعريف كلمة (أثر) لغة و اصطلاحًا :

لغة : يقول الخليل الفراهيد : « الأثر بقية ما ترى من كل شيء و ما لا يرى بعد

ما يبقى علقه»^(١٢)

ويقول ابن منظور: الأثر بقية الشيء^(١٣) .

و اصطلاحًا: الأثر هو اللازم المتعلق بالشيء^(١٤).

وهذا التعريف يتحد مع المعنى اللغويّ بشيء، و يفارقه بآخر، لأنّ اللازم خارج

عن ماهية الشيء و ذاته فهو يوافقه فيما لم يكن جزءاً، و يخالفه فيما كان جزءاً^(١٥).

ب. تعريف كلمة (التفسير) لغة و اصطلاحًا :

لغة : التفسير من مادة فسر، و تعني البيان^(١٦)، وكشف المراد عن اللفظ

المشكل^(١٧).

اصطلاحًا: وردت عدّة تعاريف لكلمة التفسير من العلماء، و أهمها بالنسبة لهذا

البحث :

هو أنّ التفسير : عبارة عن بيان المفاد الاستعمالي لآيات القرآن، و إظهار المراد

الجدى لله تعالى منها، طبق قواعد اللغة العربيّة، و أصول المحاور العقلية^(١٨).

فهذا التعريف يبين العملية التفسيرية، و الأدوات التي يستعين بها المفسّر في

تفسيره للنص القرآنيّ.

ج. التفسير الفلسفيّ للقرآن الكريم :

يعرف المنهج الفلسفيّ في التفسير : بأنه استعمال المباني و القواعد الفلسفية في

فهم النص القرآنيّ^(١٩).



وتقع طريقة التفسير الفلسفيّ لبيان ما تقوم عليه الظاهرة القرآنيّة من مفاهيم فلسفية كالبحث عن الوجود والماهية وما يترتب عليهما من الأثر في جانب الوجود من الأصالة أو التبعية للماهية، وكذا ما يترتب على الماهية من الأصالة أو تبعيتها للوجود.

وأهم الآيات القرآنيّة المطروحة في هذا المسلك عبارة عن: إثبات وجود الله، وصفاته، والتوحيد ومراتبه، ومسألة النفس والعقل، ومبدأ العلية، وما شاكل ذلك^(٢٠).

المطلب الثاني: الآيات المتشابهة والتفسير الفلسفيّ:

الآيات المتشابهة هي آيات قرآنية متعدّدة المعنى، وهي التي أدّت إلى ظهور أسلوب التأويل الذي استخدمته الفرق الإسلاميّة للتدليل على صحة مواقفها. فنجد في القرآن الكريم آيات ترشدنا إلى التنزيه، ومنها ما ينزه الله سبحانه عن صفات المخلوق، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى: ١١.

وقد اختلف المسلمون في تفسير هذه الآيات، ولم يتضح لهم هدف الشارع منها، ويقول تعالى في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ آل عمران: ٧. وأيضاً فقد أثّرت مسألة الجبر والاختيار استناداً إلى آيات متشابهات، مثل الآية ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ الانفال: ١٧، بينما الآية ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ البلد: ١٠، هي صريحة في الاختيار أي في القول بحرية الإرادة^(٢١).

يقول الدكتور محمد أبو ريان: «أنّ بعض ما ورد من آيات في القرآن أشكل على الناس فهمها، وسميت هذه الآيات متشابهات، وهي غير واضحة المعنى، وبعضها يشعر بالتناقض»^(٢٢).



فكان التفسير الفلسفيّ عاملاً مساعداً على فهم هذه الآيات المتشابهة، ولا سيما عند البحث في الآيات التي تتناول ذات الله سبحانه و صفاته كالنورية و السمع و البصر، ورؤيته سواء أكانت بالقلب أم بالبصيرة، وغيرها.

المطلب الثالث : مواقف و آراء حول التفسير الفلسفيّ للقرآن الكريم:

يرى الذهبي أنّ علماء المسلمين لم يكونوا جميعاً على مبدأ واحد بالنسبة للآراء الفلسفيّة، بل وجد منهم من وقف منها موقف الرفض، و عدم القبول، كما وجد منهم من وقف موقف الدفاع عنها و القبول لها، و كان من هؤلاء أثر ظاهر في تفسير القرآن الكريم.

فبعض المفسّرين أفاد من النظريات الصحيحة و المسلّمة لديه، و مزجها بالتفسير، و رفض النظريات التي يراها تتعارض مع الدين . و لكن هناك بعض المفسّرين من شرح الآيات القرآنيّة بناءً على النظريات و الآراء الفلسفيّة، فأسقط تلك النظريات و الآراء على النصوص القرآنيّة^(٢٣).

يقول (خالد العك) في ذمه للمعتزلة لأنّهم اعتمدوا على النظريات الفلسفيّة في تفسيرهم للقرآن الكريم : « أمّا المعتزلة : فقد توسّعوا في تفسير القرآن تفسيراً عقلياً، تبع لمنهج الفلاسفة القائم على تفسير الغيبات تفسيراً عقلياً، حتى تناولوا صفات الله تعالى، و الأخص (العدل)، فأرجعوا على الله سبحانه في مسألة العدل ما يجب على الإنسان فيه، و كذلك و صفوا الكلام لله تعالى لموسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ النساء: ١٦٤ .

و لذلك نجد للعلماء في مسألة مشروعية الفلسفة في التفسير ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وجوب الاقتصار على التفسير بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته عليهم السلام.



والجواب: إنَّ أكثر الروايات التفسير ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها، فضلاً عن الآيات التي لم ترد فيها تفسير منهم صلوات الله عليهم، وهذا يؤدي إلى تعطيل العمل بآيات كثيرة.

الرأي الثاني: هناك من لم يعارض هذا المنهج، بل عارض خصوص استعمال المصطلحات الفلسفية .

والجواب: الفلسفة علم عقلي ومصطلحاته كمصطلحات أي علم عقلي أو علم تجريبي، فلا ضير من الاستفادة منها بالتفسير.

الرأي الثالث: جواز استعمال المنهج الفلسفيّ لأنّه من المنهج العقلي، فكما يمكن استعمال القواعد العقلية في فهم النصوص القرآنية، فالقواعد الفلسفية هي إحدى مصاديقها .

والجواب: إنَّ التفسير الفلسفيّ لا إشكال فيه إذا ما روعي فيه شرط يُعدّ هو الأساس في هذا المنهج، هو استخدام المبنى الفلسفيّ المبرهن عليه في فهم النص القرآنيّ، والابتعاد عن تحميل الآراء الفلسفية على القرآن^(٢٤).

المطلب الرابع: نماذج من التفسير الفلسفيّ لبعض الآيات القرآنية:

تناول بعض الفلاسفة الكبار بعض الآيات القرآنية وفسروها بطريقة فلسفية، نعرض بعضها :

أ. الفارابي (ت: ٣٣٩هـ):

يمكن اعتبار تفسير الفارابي، من النماذج البارزة لهذا النوع من التفسير، فقد فسّر الفارابي بعض آيات القرآن الكريم تفسيراً فلسفياً، منها ما يلي :

أ- في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ الحديد: ٣: فسّر (الأول) فيقول: «الأول من جهة أنه منه و يصدر عنه كلّ وجود غيره، وهو أول من جهة أنه بالوجود لغاية



قربه منه، وأول من جهة أنّ كلّ زماني يُنسب إليه يكون فقد وجد زمان لم يوجد معه ذلك الشيء، ووجد إذ وجد معه لا فيه» .

وفسر (الآخر) بقوله: (هو الآخر، لأنّ الأشياء إذا لوحظت ونُسبت إليه أسبابها و مبادؤها وقف عنده المنسوب، فهو آخر لأنّه الغاية الحقيقية في كلّ طلب)^(٢٥).

ب- وفي قوله تعالى ﴿ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ الحديد: ٣: فسر (الظاهر) بقوله: «لا وجود أكمل من وجوده، فلا خفاء به من نقطة الوجود فهو في ذاته ظاهر و لشدة ظهوره باطن، و به يظهر كلّ ظاهر كالشمس يظهر كلّ خفي و يستبطن لا عن خفاء».

و فسر (الباطن) بقوله: « وهو باطن لأنّه شديد الظهور، غلب ظهوره على الإدراك الخفي، وهو ظاهر من حيث الآثار تنسب إلى صفاته، وتجب عن ذاته»^(٢٦)

ب- ابن سينا (ت: ٤٢٨هـ):

ابن سينا كمسلم يدين بالقرآن الكريم، و فيلسوف محبّ للفلسفة، كان حريصاً كلّ الحرص على أن يوفّق بين الدين و الفلسفة، و كان طبعياً أن يوفّق بين نصوص القرآن و النظريات الفلسفيّة، فكان يشرح القرآن شرحاً فلسفياً، و كانت طريقته التي يسلكها في شرحه غالباً هي شرح الحقائق الدينية بالأراء الفلسفيّة^(٢٧).

ومن الآيات القرآنيّة التي فسرها تفسيراً فلسفياً :

أ- في قوله تعالى: ﴿ وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ الحاقة: ١٧: فسر العرش بأنه الفلك التاسع الذي هو فلك الأفلاك، و فسر الملائكة الثمانية التي تحمل العرش بأنها الأفلاك الثمانية التي تحت الفلك التاسع .

يقول ابن سينا:

«أنّ العرش نهاية الموجودات المبدعة الجسمانية، و تدعي المشبهة من المشرعين أنّ



الله تعالى على العرش لا على سبيل الحلول، أمّا في الكلام الفلسفيّ فإنّهم جعلوا نهاية الموجودات الجسمانية الفلك التاسع الذي هو فلك الأفلاك، وقد قالوا: إن الفلك يتحرك بالنفس، لأنّ الحركات إما ذاتية، وإما غير ذاتية، والذاتية إما طبيعية، وإما نفسية، ثم بينوا أنّ نفسها هو الناطق الكامل الفعال، ثم بينوا أنّ الأفلاك لا تُفنى ولا تتغير أبد الدهر، وقد ذاع في الشرعيات أنّ الملائكة أحياء قطعاً، لا يموتون كالإنسان الذي يموت، فإذا قيل: إن الأفلاك أحياء ناطقة لا تموت، والحي الناطق غير الميت يسمى ملكاً، فالأفلاك تسمى ملائكة، فإذا تقدّم هذه المقدمات وضح أنّ العرش محمول على ثمانية، ووضح تفسير المفسّرين أنّها ثمانية أفلاك^(٢٨).

ج - صدر المتألهين (ت: ١٠٥٠هـ):

استعمل صدر المتألهين الفلسفة في فهم النصوص القرآنيّة، واعتمد في فلسفته على النقل والبرهان والكشف، ولكنه اعتمد على المنهج المتكامل في تفسيره، فيستخدم تفسير القرآن بالقرآن، وبالمأثور، واللغة، والمنهج الفلسفيّ، أي ما يسمى بالتفسير الاجتهادي الجامع^(٢٩).

و من الآيات القرآنيّة التي تناوّلها صدر المتألهين في تفسيره:

أ. في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكُهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ البقرة: ١٧، ١٨.

يرى صدر المتألهين: تحقيق هذه الآية تستدعي مقدمات، إحداها: هي أنّ العوالم متطابقة والنشآت متحاذية، نسبة الأعلى إلى الأدنى كنسبة الصافي إلى الكدر، ونسبة اللب إلى القشرة، ونسبة الأدنى إلى الأعلى كنسبة الفرع إلى الأصل....، فكلّ ما في الدنيا فلا بدّ له في الآخرة من أصل، وإلا لكان كسراب باطل وخيال عاطل، وكلّ ما في الآخرة فلا بدّ له في الدنيا من مثال، وإلا لكان كمقدمة بلا نتيجة وشجرة



بلا ثمرة و علة بلا معلول، لأنّ الدنيا عالم الملك و الشهادة، و الآخرة من عالم الغيب و الملكوت، و لكلّ إنسان دنيا و آخرة . و إنّ الإنسان أول ما يحدث يكون في عالم الحس و الشهادة، ثم يتدرّج قليلاً في قوة الوجود، حتى ينتقل من هذا العالم إلى عالم الغيب، فيكون الدنيا أولاه و الآخرة أخراه، كما إن الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في رتبة الوجود و ثانية لها، و هي أن كانت ثانيةً في رتبة الوجود، فإنّها أول في حق رؤيتك، و هذا النوع من الانعكاس، ضرورة هذا العالم، و كذلك عالم الشهادة محال لعالم الغيب و الملكوت^(٣٠).

ب- و في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٩.
يقول صدر المتألهين في تفسير هذه الآية:

«هذه الآية من أعظم الدلائل على مكانة الإنسان، و من أقوى الوسائل إلى معرفة الرحمن، أمّا دلالتها على مكانته بوجهين:

الأولى : وهو أنّها بيان نعمة أخرى بعد النعمة الأولى مرتبة عليها، فإن الأولى كانت خلقتهم أحياء قادرين مرة بعد أخرى، و هذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم النوعي بعد الشخصي و يتم به معاشهم المبتنى عليه معادهم.

الأخرى ما أحسن رعاية هذا الترتيب منه في قوله تعالى، فإنّ الانتفاع بالأرض و السماء و ما في كلّ منهما إنّما يكون بعد حصول الحياة، فلهذا ذكر الله تعالى أمر الحياة أولاً، ثم أردفه بذكر الأرض و السماء»^(٣١).

و في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾:
يقول صدر المتألهين: «هي من الآيات التي اختصّ بمعرفتها أهل القرآن خاصة، (فالاستواء): أصله طلب السواء، و إطلاقه على الاعتدال و الاستقامة، و قيل



استوى بمعنى استولى و ملك، (فسواهن) : عدّهن و خلقهن مصنونة من العوج و الفطور، إلا عند قيام الساعة (إذا السماء انفطرت)، و (ثمّ) : كما تفيد التراخي، فهي هنا تفيد للتفاوت في الشرف و الفضيلة في خلق السماوات على خلق الأرض» (٣٢).

د- الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ):

حفل (الميزان) بأبحاث فلسفية عديدة في مواضع مختلفة، و يرجع ذلك إلى قدرة المفكر العلمية، و عمق نظراته الفلسفية. و فلسفة الطباطبائي في (الميزان) تبدو ممزوجة بآيات القرآن الكريم، و لكن لم تستهوَ الفلسفة الطباطبائي كمنهج للتفسير، و لم تسيطر النظريات الفلسفية على تفسيره، كما هو نفسه عاب على المسلك الفلسفي في التفسير، إذ قال : « و أمّا الفلاسفة، فقد عرض لهم ما عرض للمتكلمين من المفكرين من الوقوع في ورطة التطبيق و تأويل الآيات المخالفة بظاهرها للمسلمات في فنون الفلسفة بالمعنى الأعم، و خاصة المشائين، و قد تأوّلوا الآيات الواردة في حقائق ما وراء الطبيعة، و آيات الخلقة، و حدوث السماوات و الأرض، و آيات البرزخ و آيات المعاد، حتى ارتكبوا التأويل في الآيات التي لا تلائم الفرضيات و الأصول الموضوعية التي نجدها في العلم الطبيعي».

وإنّ الأبحاث الفلسفية التي عقدسا الطباطبائي فيالميزان تعبّر عن تأييدها للمعاني التي استفادها من الآيات، و في أحيانٍ أخرى عبّرت هذه الأبحاث عن رفضها لمقالات فلسفية تعارض ظواهر القرآن و السنة (٣٣)

مثلاً في تفسيره معنى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الفاتحة: ٢: قال : «إنه الثناء على الجميل الاختياري، ثم أعقبه ببحث فلسفي بقوله : (البراهين العقلية ناهضة على أنّ استقلال المعلول و كلّ شأن من شؤونه إنّما هو بالعلة، و أنّ كلّ ماله من كمال فهو فيوض من فيوض وجود علته، فلو كان للحسن و الجمال حقيقة في الوجود



فكماله و استقلاله للواجب تعالى لأنه العلة التي تنتهي إليه جميع العلل، و الثناء و الحمد هو إظهار موجود ما بوجود كمال موجود آخر و هو لا محالة علته»^(٣٤).
 و في تفسيره لقوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾
 الزلزلة: ٤: يقول الطباطبائي:

«حَقَّقَ في مباحث الفلسفة و هو حضور شيء يساوي الوجود المجرد لكون ما له من فعالية الكمال حاضرًا عنده تعالى من غير مقابلة للفاعل، فكلّ وجود مجرد يمكنه أن يوجد حاضرًا و ما أمكن لمجرد بالإمكان العام فهو له بالضرورة، فالعلم يساوي الوجود و الوجودات المادية لا يتعلّق بها علم و ليس لها علم بشيء، لكن لها - على الرغم كونها مادية متغيرة متحركة لا تستقر على حال - ثبوتًا من غير تغير و لا تحول لا ينقلب عمّا وقع عليه، فلها من جهة التجرد تشابه محض مع الموجودات المحضة العقلية المثالية في سريان العلم»^(٣٥).

بينما رفض الطباطبائي في بعض أبحاثه الفلسفية بعض النظريات التي تخالف بمؤداها القرآن الكريم، كما في معنى (الكلام)، حينما ذهب الفلاسفة بأنّ المعلول يحكي عن علته فهو كلام لها، و لما كان العالم الممكن معلولاً لله تعالى فهو كلامه الذي يظهر المكنون من كمال أسائه و صفاته أي أنّ الله تعالى متكلم بالعالم.

لكنّ الطباطبائي استبعد هذا المعنى، باعتبار أنّ ما ورد في القرآن الكريم لا يدلّ على ذلك، و لا يمكن حمله إلا على أنه كلام حقيقي لله غير متمثل بالعالم و لا الوجودات الخارجية^(٣٦).



الخاتمة :

- تعدّ الفلسفة الإسلاميّة مصدراً من أهم مصادر التفسير ، لأنّها غنية بالنظريات العقلية و القطعية ، ويستفيد منها المفسّر في تفسيره للقرآن الكريم ، ولاسيما في المسائل التي تتعلق بمعرفة الذات الإلهية ، و صفاته سبحانه ، و عند تفسير بعض الآيات المتشابهة .

- الفلسفة الإسلاميّة مصطلح عام يمكن تعريفه و استخدامه بطرق مختلفة ، فيمكن للمصطلح أن يُستعمل على أنه الفلسفة المستمدة من نصوص الإسلام ، بحيث يقدّم تصور الإسلام و رؤيته حول الكون و الخلق و الحياة و الخالق ، و يمكن أن يُستعمل ليشمل جميع الأعمال و التصورات الفلسفيّة التي تمت و بُحثت في إطار الثقافة الإسلاميّة

و على المفسّر الذي يعتمد على التفسير الفلسفيّ كمصدر أن يراعي الضوابط التالية :

أولاً: أن لا يتنافى التفسير الفلسفيّ مع الآيات القرآنيّة ، و حكم العقل .
ثانياً: الابتعاد عن الفرضيات _ أي النظريات غير القطعية - لأنها معرضة للتغير و الإشكالات .

ثالثاً: الابتعاد عن تحميل النظريات الفلسفيّة على القرآن الكريم .^(٣٧)



هوامش البحث:

- (١) موقع هدى القرآن، أصول و شواهد النظر العقلي في القرآن الكريم و الفكر الإسلامي .
- (٢) الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، موقع معرفة .
- (٣) الفيروز آبادي، القاموس، ج٣: ١٥٥ .
- (٤) الشيرازي، محمد إبراهيم، الحكمة المتعالية، ج١: ٤٧ .
- (٥) خلف، فتح الله، المدخل إلى الفلسفة: ٧ .
- (٦) المظفر، محمد رضا، الفلسفة الإسلامية: ٧٥ .
- (٧) المظفر، محمد رضا، الفلسفة الإسلامية: ٧٥ .
- (٨) المظفر، محمد رضا، الفلسفة الإسلامية: ٧٦ .
- (٩) المظفر، محمد رضا، الفلسفة الإسلامية: ٧٦ .
- (١٠) أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر الإسلامي: ١٦ .
- (١١) مذكور، إبراهيم، الفلسفة الإسلامية (منهج و تطبيقه): ٧ .
- (١٢) مذكور، إبراهيم، في الفلسفة الإسلامية (منهج و تطبيقه) ج٢: ٧، ٧٧ .
- (١٣) مذكور، إبراهيم، في الفلسفة الإسلامية (منهج و تطبيقه)، ج١: ٢٣ .
- (١٤) أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر الإسلامي: ٤٧، ٤٨ .
- (١٥) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، ج٨: ٢٣٦ .
- (١٦) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ٢٥، مادة أثر .
- (١٧) انظر: الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات: ٩ .
- (١٨) صالح، زمن حسين، المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم (صدر الدين الشيرازي أنموذجًا): ٢١ .
- (١٩) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، ج٧: ٢٤٧ .
- (٢٠) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ٣٤١٢ .
- (٢١) رضائي، محمد، مباني و قواعد تفسير القرآن .
- (٢٢) صالح، زمن، المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم: ٤٥ .
- (٢٣) عطية، ساجد شريف، مفسري القرآن و أسلوهم، ج٢، موسوعة اتقان القرآن و علوم الرحمن .
- (٢٤) انظر: أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر الإسلامي: ٢٢٣، ٢٢٤ .
- (٢٥) أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر الإسلامي: ٥٠ .



- (٢٦) انظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير و المفسرون، ج ٢: ٣٠٩.
- (٢٧) العك، خالد، أصول التفسير و قواعده: ٢٤٥.
- (٢٨) العك، خالد، أصول التفسير و قواعده: ٢٤٥.
- (٢٩) انظر، صالح، زمن، المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم: ٤٢.
- (٣٠) الذهبي، محمد حسين، التفسير و المفسرون، ج ٢: ٣١٠.
- (٣١) الذهبي، محمد حسين، التفسير و المفسرون، ج ٢: ٣١٠.
- (٣٢) انظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير و المفسرون، ج ٢: ٣١٤.
- (٣٣) الذهبي، التفسير و المفسرون، ج ٢: ٣١٥.
- (٣٤) انظر: صالح، زمن، المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم (صدر الدين الشيرازي أنودجًا).
- (٣٥) انظر: الشيرازي (صدر المتألهين)، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج ٢: ٤، ٥.
- (٣٦) الشيرازي، محمد إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج ٢: ٢٧٤.
- (٣٧) الشيرازي، محمد إبراهيم، تفسير القرآن الكريم، ج ٢: ٢٧٨.



قائمة المصادر والمراجع:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- منظور، محمد بن مكرم . لسان العرب : تحقيق عبد الله الكبير . القاهرة: دار المعارف .
- ٣- ابن سينا، الحسين بن عبد الله . ١٣٥٤هـ . مجموع رسائل الشيخ الرئيس . جمعية دائرة المعارف العثمانية . ط / ١ ،
- ٤- أبو ريان، محمد علي . ١٩٨٠م . تاريخ الفكر الإسلامي . نشر دار المعرفة الجامعية .
- ٥- الألوسي، علي . ١٤٠٥هـ . الطباطبائي و منهجه في تفسيره الميزان . طهران : معاونة الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي . الطبعة الأولى .
- ٦- الجابري، محمد عابد . تكوين العقل العربي . موقع معرفة .
- ٧- الجرجاني، علي بن محمد . التعريفات . لبنان- بيروت : مطبعة دار الكتب العلمية .
- ٨- الذهبي، محمد حسين . التفسير والمفسرون . القاهرة: نشر مكتبة وهبة .
- ٩- الشيرازي، محمد بن إبراهيم . ١٣٦٤هـ . تفسير القرآن الكريم : تصحيح محمد خواجوي . قم المقدسة: نشر بيدار .
- ١٠- الشيرازي، محمد بن إبراهيم . الحكمة المتعالية . بيروت - لبنان : دار إحياء التراث العربي .
- ١١- الطباطبائي، محمد حسين . ١٤١٧هـ . الميزان في تفسير القرآن: تصحيح الشيخ حسين الأعلمي . بيروت - لبنان : نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . الطبعة الأولى .
- ١٢- العك، خالد عبد الرحمن . ١٤٠٦هـ . أصول التفسير و قواعده . بيروت - لبنان : دار النفائس . الطبعة الثانية .
- ١٣- الفراهيدي، الخليل بن أحمد . ١٤١٠هـ . العين تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي . مؤسسة دار الهجرة . الطبعة الثانية .
- ١٤- الفيروز آبادي . القاموس .
- ١٥- المظفر، محمد رضا . الفلسفة الإسلامية : اعداد السيد محمد تقي الطباطبائي . بيروت - لبنان : مؤسسة التاريخ العربي .
- ١٦- خلف، فتح الله . ١٩٨٢م . المدخل إلى الفلسفة . نشر دار الجامعات المصرية .
- ١٧- رضائي، محمد . مباني و قواعد تفسير القرآن .
- ١٨- عطية، ساجد شريف . مفسري القرآن و أسلوبهم : موسوعة اتقان القرآن و علوم الرحمن .
- ١٩- صالح، زمن حسين . ١٤٣٨هـ . المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم (صدر الدين الشيرازي أنموذجاً) جامعة كربلاء .
- ٢٠- مذكور، إبراهيم . في الفلسفة الإسلامية (منهج و تطبيقه) . مصر : نشر دار المعارف .
- ٢١- موقع هدى القرآن . أصول و شواهد النظر العقلي في القرآن و الفكر الإسلامي .

